البشارة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم
في الكتاب المقدس

بقلم
دكتور
عبد الرحمن حميدة عبد الرحمن النجومي
المدرس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين — القاهرة

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي الأمي ، الموصوف في التوراة ببعض صفاته في القرآن ، اللهم صل عليه وعلى آله إلى يوم الدين . .

أما بعـــد :

فإن أهل الكتاب « يهوداً ونصارى » يزعمون أنه لا توجد نبوة واحدة عن محمد ﷺ في التوارة[١] . . وهذه النتيجة ينبغي أن يسبقها استقراء يستعرضون فيه أسفار التوراة سفراً سفراً وإصحاحاً اصحاحا . . لكنهم لا يفعلون ذلك ، بل يطلقون هذه النتيجة هكذا جزافاً . .

ولاشك أن هناك أناساً لم يقرؤوا التوراة ولم يسمعوا عما فيها . . هؤلاء يمكن أن يخدعوا بهذه الدعوى العريضة . . ولأجلهم أعمل على بيان وجه الحقيقة .

وإذا كان المسلمون على مدار تاريخهم لم يهتموا بنبوات الكتاب المقدس ، لأنها ليست من أدلة إثبات النبوة ، لمحمد أو للمسيح عليهما السلام إلا أنه يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن اعتقادهم بأن نبيهم مبشر به في الكتب السماوية السابقة لم يأت من فراغ ، فقد ذكر القرآن الكريم أن أهل الكتاب يعرفون محمداً من كتبهم كما يعرفون أبناءهم الذين هم من أصلابهم ، قال تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون »[٢] .

ومعظم هذه المعرفة عن طريق الصفات الموجودة لديهم ، فهو « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث

---

(١) المقصود بالتوراة هنا التي بين أيديهم الآن

(٢) البقرة ١٤٦

ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم . .»[1] والقرآن الكريم معجزة، وإخباره بهذا الأمر الغيبى هو كإخبار المسيح بنى إسرائيل بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم.

وقد أبقى الله جماعة ممن يشهدون ببشارت محمد ﷺ إلى زمن بعثته، منهم ورقة بن نوفل الذى أدرك بداية الوحى وتمنى أن يعيش لمناصرته ﷺ، وعبد الله بن سلام الذى أسلم وأكد صدق القرآن، وقد أدرك سلمان الفارسى — وكان قد تنصر بعد أن كان مجوسياً — طائفة ممن كانوا متبعين لدين المسيح عليه السلام بالموصل، وآخر بنصيبين وآخر بعمورية، وكل منهم يخبر بأنه لم يبق على دين المسيح عليه السلام إلا قليل، إلى أن قال له آخرهم: لم يبق عليه أحد، وأخبره أنه يبعث نبى بدين إبراهيم من جهة الحجاز فكان ذلك سبب هجرة سلمان إليه وإيمانه به

وإضافة إلى ذلك فإننا نستند فى دعوانا أن محمداً ﷺ مبشر به فى الكتاب المقدس على بعض المرتكزات الأساسية التى تتمثل فيما يأتى:

أولا: أقام القرآن حجته على أهل الكتاب فى عصر نزوله بأنهم يعرفون محمداً ﷺ، كما يعرفون أبناءهم، وهذا التحدى لا يمكن أن يقوم به عاقل إذا كان هؤلاء القوم يعلمون خلاف ذلك، إذ يصبح ذلك من أعظم دواعى تكذيبه[2].

(١) الأعراف آية ١٥٧

(٢) وقد أخبر القرآن الكريم أن اليهود كانوا يستفتحون بمحمد ﷺ على الذين كفروا فى المدينة قبل بعثته، ولو لم يكن اليهود يفعلون ذلك لكان هذا من أكبر داوعى التكذيب أمام الأوس والخزرج، =

ثانياً: إنه من الممتنع أن يخلو الكتاب المقدس من الإخبار بأمر ﷺ، حتى لو افترضنا صدق زعمهم أن الإسلام الذى جاء به شر أصاب العالم، فقد تنبأ الكتاب المقدس بأمور أقل خطراً مثل: خراب أورشليم[1] وأكثر حقارة مثل: ركوب المسيح على الجحش[2] . . فكيف تنطابق الكتب الإلهية على تجاهل مثل هذا الأمر العظيم إن لم تكن قد حرفت . . ؟؟

= ولكنهم وجدوا القرآن صادقاً فيما أخبرهم به عن اليهود، فبادروا إلى الإيمان، وأصر اليهود على الكفر برسول الله الذى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

(١) النبوءة بخراب أورشليم ذكرها متى ٢٣ : ٣٨ ولوقا ١٣ : ٣٥ ونصها «ها إن بيتكم يترك لكم خراباً»، وقد دمرت أورشليم فعلا بعد أربعين سنة من هذه النبوءة أى فى سنة ٧٠م على يد الرومان

(٢) دخول المسيح أورشليم على جحش اتفق عليها الأناجيل الأربعة متى ٢١ : ١ — ١١ ومرقص ١١ : ١ — ١١ ولوقا ١٩ : ٢٨ — ٤٤ ويوحنا ١٢ : ١٢ — ١٩ ومتى يذكر أتانا وجحشاً، بينما لا تذكر الأناجيل الأخرى سوى الجحش، وهى نفس الحادثة، ولكن متى يركز كعادته على نبوءة العهد القديم، ففى زكريا ٩ : ٩ «ابتهجى جداً يابنة صهيون، اهتفى يابنت أورشليم، هو ذا ملكك يأتى إليه عادل ومنصور وديع وراكب على حمار، وعلى جحش ابن أتان»، والغريب أن النصارى يعتقدون أن المسيح قد حقق هذه النبوءة، وكأنه لم يدخل أحد أورشليم وهو يركب حماراً غيره، وصاحب النبوءة يتصف بصفات خمس: ملك عادل منصور وديع وراكب حمار، ولا ينطبق على المسيح منها سوى العدل والوداعة وركوب الحمار، وجميعها تنطبق على الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

ثالثاً : يعتقد بعض علماء اللاهوت « أن ميزة النبي الحقيقي لم تكن مجرد تحقق نبوته ، لأن تحقق النبوة قد يستوعب سنين كثيرة ، بل إن المحك كان في ماهية نبوته ، فكان النبي الكاذب مثلا لا يتنبأ إلا عن الخير ، لأنه كان يعتقد أن يهوه إله قومي وعليه أن يخلص شعبه ، في حين كان النبي الحقيقي يتنبأ أكثر الأحيان عن النكبات والكوارث لعلمه أن الله يحكم الناس بالعدل ، ويأخذ خطاياهم دون محاباة »[1] .

وإذا كان النصارى يعتقدون أن الإسلام هو أكبر بلاء أصابهم ، فما المانع من أن يتنبأ به الكتاب المقدس . . ؟

هذه ثلاث ركائز توجب الاعتقاد بأن نبي الإسلام مبشر به في الكتب السماوية السابقة ، وإصرار أهل الكتاب على خلاف ذلك لا ينفي إخبار القرآن الكريم ، وهناك العديد من النصوص يشير إليها السابقون ولا توجد في النسخ الموجودة الآن ، ومن أمثلة ذلك قول ابن تيميه في « ج ٢ ص ١٩٤ » من الجواب الصحيح : فصل فيما يوافق فيه المسلمون النصارى . قالوا : وقال عاموص النبي « ستشرق الشمس على الأرض ويهتدي بها الضالون ، ويضل عنها بنو إسرائيل » .

قالوا : فالشمس هو السيد المسيح ، والضالون الذين اهتدوا به هم النصارى المختلفة ألسنتهم الذين كانوا من قبله عابدين الأصنام وضالين عن معرفة الله » .

ولا تجد هذه البشارة في سفر عاموص الآن ، يمكن أن تنطبق على محمد أو المسيح ، فكلاهما أشرق بنور الهداية وكلاهما كذبه اليهود .

---

(١) المرشد إلى الكتاب المقدس ج ١ ص ٤٧

وليس علماء المسلمين فقط هم الذين يشيرون إلى نصوص في الكتاب المقدس ، لا توجد فيه اليوم ، وإنما يشاركهم هذه المأساة علماء النصارى أنفسهم ، ومعنا الأنبا ساويرس ، وهو من آباء القرن العاشر الميلادي الأقباط ، وقد ذكر في كتابه « الدر الثمين في إيضاح الدين » ص ٤٤ من الطبعة الثانية « وكذلك قال على لسان هوشع النبي ، أنا خلقت أجناد السماء ، ولم أعرفك بهم يا إسرائيل لكيلا تميل إليهم » وكتب المحقق بالهامش ما يلي : « لم نجد في سفر هوشع آية بهذا المعنى ، وأغلب الظن أن هناك خطأ من النساخ القدامى للمخطوط ، ويجوز أن تكون الآية المقصودة هي الواردة في أشعياء النبي إصحاح ٤٨ : ٦ — ٨ .

بيد أن النص المشار إليه في أشعياء بعيد عن هذا المعنى ، حيث يقول « قد سمعت فانظر كلها ، وأنتم إلا تخبرون ، قد أنبأتك بحديثات منذ الآن ، وبمخفيات لم تعرفها ، الآن خلقت وليس منذ زمان وقبل اليوم لم تسمع بها لئلا تقول ها أنذا قد عرفتها ، لم تعرف ومنذ زمان لم تفتح أذنك فإني علمت أنك تغدر غدراً ، ومن البطن سميت عاصياً » .

فهل في هذا النص الكلمات الأساسية الآتية تحت أي مرادف من مرادفتها :

— خلقت — أجناد السماء — إسرائيل — تميل .

وأتساءل لماذا لا نجد المعنى في أي موضع من الكتاب المقدس تحت أي صورة تجمع المرادفات الأصلية ؟ ولماذا لا يخطىء النساخ إلا في الإشارة إلى مواضع الاقتباسات ؟

وأرجح أن النصوص التي أشار الأقدمون إلى أنها نصوص مقدسة ولا وجود لها اليوم ، أنها كانت في الكتاب المقدس في عصرهم ، ثم

ضاعت إما بالتحريف من كثرة الترجمة التى جعلت التعرف على المعنى أمراً بالغ التعقيد ، وإما بضياع بعض الأوراق من النسخ الخطية للكتب المقدسة ، فالنسخ الخطية استعملها العلماء فى عصر تدوينها كثيراً ، وتوارثتها أجيال ، إلى أن أصبحت أو بالأخرى ما تبقى منها آثاراً محفوظة فى الأديرة وأماكن العبادة ، فربما ضاعت إصحاحات كاملة من هذه النسخ ، وعملية جمع الكتاب المقدس أخذت صورتها النهائية بجمع هذه النسخ وضمها إلى بعض ، ومن ثم حدث الخلاف حول قداسة أو عدم قداسة بعضها .

ومع هذا أبقى الله بعض الحقائق عن محمد ﷺ فى الكتاب المقدس، وهى فيه إلى الآن أعظم من أن تطمس ، وأظهر من أن تخفى ، وقد كان القرآن الكريم منصفاً عندما أخبر بأن فى أهل الكتاب أناساً صالحين ، منهم من [إن تأمنه بقنطار يؤده إليك] وآخرين صالحين [إن تأمنه بدينا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً] .

ولو تأمل هؤلاء الصالحون لعلموا أن المسيح عليه السلام لم يطبق بشارة واحدة مما ندعيه لمحمد على نفسه ، فى الوقت الذى تحدى فيه محمد ﷺ اليهود بهذه النبوءات ، وعقلاء أهل الكتاب يعلمون أن الذين حرفوا الإنجيل وأخطئوا فى نسب المسيح يمكن بسهولة أن يخطئوا فى نسخ أو ترجمة صفات محمد ﷺ .

والحق أن الله أخبر فى التوراة والإنجيل عن صفة محمد ﷺ ومخرجه ونعته وهذا أبلغ من مجرد ذكر اسمه ، فالاشتراك فى الاسم قد يقع فلا يحصل التمييز ، وقد يحرف الاسم وتبقى الصفات شاهدة ، وقد يفسر بعض كتاب الأناجيل بشارة على نحو خاطىء فتثبت الأيام الخطأ الذى وقع فيه ، وذلك مثل إشارات متى إلى العهد القديم ، والنصارى

لا يزالون فى حيرة : من هو يوسف والد ربهم يسوع ؟ والسبب أن متى ولوقا كل منهما أراد أن يصل ما لا يمكن وصله ، أراد كل منهما أن يجعل المسيح من نسل داود فأضاعوا الكثير من الحقائق وما استطاعوا أن يقنعوا اليهود .

لكن أترى المبشرين يقبلون ذلك أم يتعالى صياحهم بأننا عاجزون عن الرد عليهم ؟ ونحمد الله أن الإشارات الباقية فى الكتاب المقدس اليوم كافية للرد على مزاعمهم ، وهذا ما نتجه إليه الآن .

البشارة بمحمد ﷺ

فى التوراة

المعروف لدى أهل الكتاب [يهود ونصارى] أن التوراة هى الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، وهى : التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ، وأول النصوص التى نذكرها فى هـذا الصدد ما جاء فى سفر التكوين من الحديث عن بركة إسماعيل [وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأعوه وأكثراً جداً اثنى عشر رئيساً وأجعله أمة كبيرة][1] .

إن [كثيراً جداً] فى اللغة العبرانية [بماد ماد] وهى بحساب الجمل تساوى حساب حروف [محمد] .

وأن [أمة كبيرة] فى اللغة العبرانية [لجوى جدول] وهى بحساب الجمل أيضاً تساوى حروف [محمد][2] .

---

(١) تكوين ١٧ : ٢٠

(٢) وبيانها عند اليهود العبرانيين كما يأتى :

أ	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط	ى
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص		
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠		
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

وحروف اسم محمد = ٩٢ ، م = ٤٠ ، ح = ٨ ، م = ٤٠ ، د = ٤ =

وقالت طائفة أخرى : بل قوله [بماد ماد] صريح فى اسم محمد ، قالوا ويدل عليه أن ألفاظ العبرانية قريبة من ألفاظ العربية[1] .

وفى سفر التكوين أيضاً [وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك][2] والجارية هنا هى هاجر المصرية أم إسماعيل عليه السلام ، وقد وعد الله إبراهيم بأن جميع أمم الأرض سوف تتبارك فيه[3] وقد صدق الله وعده ، واستجاب لدعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عند بناء الكعبة ، فقد دعوا الله عند أتمام البناء قائلين : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا ، أنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم ءاياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم »[4] .

إن لإسماعيل بركة مماثلة لبركة إسحاق ، وهى تدل على أن نبياً يظهر من نسله مماثل لموسى فى نسل إسحاق ، ويتحدث سفر التثنية عن هذه البركة فى الإصحاح ٣٣ فيقول : [وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته فقال : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم] .

= والمجموع = ٩٢ ، ومن خلال الجدول وبنفس الطريقة ستجد كلمة [لجوى جدول] تساوى ٩٢ ، وكذلك كلمة [بماد ماد] [قاموس المنجد] لويس معلوف حرف الألف ط / المكاثوليكية بيروت .

(١) هداية الحيارى ابن قيم الجوزية ص ١٣٥ ط/دار الريان للتراث

(٢) تكوين ٢١ : ١٣

(٣) تكوين ١٥ : ٥

(٤) البقرة ١٢٨ ، ١٢٩

وهذه البشارة ذكرها حبقوق، ونص حبقوق فى العربية فيه عبارة [والقدوس من جبل فاران] ولهذا يفضله المبشرون على سفر التثنية ، لأنه يتيح لهم أن يقولوا إن محمداً ليس هو القدوس ، ولكنهم بعد صرف المعنى الواضح عن دلالة اللفظ يعجزون عن تفسير النص تفسيراً مقبولا .

ومن المبشرين من لا يرضى أن يكون نص سفر التثنية بشارة تلبثية لأنهم لم يستطيعوا أن يجعلوها منحصرة فى المسيح ، ولما رأوا أن فيها الإشارة إليه ضمناً لم يرضوا بذلك وقالوا ليس فيها إشارة لا إلى عيسى ولا إلى غيره .

وهذه النبوءة تحمل إشارة إلى أن هذه البركات الثلاث مرحلية ، تؤخذ من الأولى لتعطى للثانية ، ومن الثانية لتستقر على الثالثة ، فبركة سيناء أولا ، وبعدها بركة جبل ساعير وأخيراً تحل البركة على جبل فاران ، ومن ثم أعظم الله هذه الأماكن الثلاث وأقسم بها ، فقال جل شأنه فى سورة التين :

« والتين والزيتون ، وطور سنين ، وهذا البلد الأمين » .

والبلد الأمين هو جبل فاران ، الذى سكنه إسماعيل عليه السلام يوم أن كان واد غير ذى زرع ، وفى هذا تقول التوراة [وقال لها مالك يا هاجر لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة ، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية وكان ينمو رامى قوس ، وسكن فى

برية فاران ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر][1] .

ونحن نستنكر على اليهود إسقاطهم حق إسماعيل فى ميراثه لأبيه إبراهيم عليه السلام فالشريعة عندهم تحفظ وتصون حق الابن البكر إذ تقول : [إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة ، فإن كان الابن البكر للمكروهة ، فيوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر ، بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية][2] .

لقد نسى بنو إسرائيل أو تناسوا أن من اخوتهم أبناء بلهة جارية راحيل وأبناء زلفة جارية ليئة ومع هذا فيوم تقسيم الأرض تساوى الجميع فى القسمة [وكان بنو يعقوب اثنى عشر :

— بنو ليئة رأوبين بكر يعقوب وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبلون .

— وابنا راحيل يوسف وبنامين .

— وابنا بلهة جارية راحيل دان ونفتالى .

— وابنا زلفة جارية ليئة جاد وأشير .

هؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا له فى فدان أرام)[3] .

(ثم كلم الرب موسى قائلا : لهؤلاء تقسم الأرض نصيباً على عدد

---

(١) تكوين ٢١ : ١٨ — ٢١

(٢) تثنية ٢١ : ١٥ — ١٧

(٣) تكوين ٣٥ : ٢٣ — ٢٦ وفدان أرام هى (العراق) .

الأسباط ، الكثير تكثر له نصيبه والقليل تقلل له نصيبه ، كل واحد حسب المعدودين منه يعطى نصيبه ، إنما بالقرعة تقسم الأرض حسب أسماء أسباط آبائهم يملكون ، حسب القرعة يقسم نصيبهم بين كثير وقليل)[1]

العدالة والمساواة بين الأخوة هى شريعة إسرائيل ، لا تميز بين أبناء ليئة أو رحيل أو جاريتهما بلهة أو زلفة ، ولكن الذهن الإسرائيلى تفتق عن فكرة عنصرية خبيثة تدعو إلى طرد إسماعيل لأن سارة قالت لإبراهيم (اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق) ويفسرون أن الله قال لإبراهيم (وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك)[2] .

وقد استمرت هذه النعرة العنصرية فى اليهود إلى اليوم ، ولحق بهم النصارى بعد المسيح مباشرة ، واستخدم بولس هذه النعرة مستشهداً بها قائلا (لكن ماذا يقول الكتاب : اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة ، إذن أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرة)[3] .

لكن ماذا يقول الإسلام ، دين الله الحقيقى ، إنه يعلن إرادة الله فى أن الظالمين لا ينالون عهده قال تعالى : « وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين »[4] .

---

(١) عدد ٢٦ : ٥٢ — ٥٦

(٢) تكوين ٢١ : ١٠ — ١٣

(٣) غلاطية ٤ : ٣٠ ، ٣١

(٤) البقرة آية ١٢٤

فمن ظلم من بنى إسماعيل أو من بنى إسحاق أو من غيرهما فإنه لن ينال عهد الله ، فالله لا يحب الناس لذواتهم ، وإنما لما يتصفون به من صفات .

— زوال شريعة إسرائيل :

وبعد أن تحدثت التوراة عن ملك بنى إسرئيل الذين حملوا بركة إسحاق ، وإتمام النعمة عليهم ، تنبأ بزوال الملك والشريعة عن هؤلاء الظالمين ، ففى الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين [١٠ — لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون ، وله يكون خضوع شعوب ، ١١ رابطاً بالكرمة جحشة وبالجفنة ابن أتانه ، غسل بالخمر لباسه ، وبدم العنب ثوبه ، ١٢ مسود العينين من الخمر ومبيض الأسنان من اللبن] .

ومعنى هذه العبارة أن سيدنا يعقوب عليه السلام ، جمع أبناءه ، وأخذ يتنبأ عما يحمله الغيب لذرية كل واحد منهم فقال ليهوذا : إن القضيب يعنى النبوة لا تزول من ذريته ، وسوف يأتى من بين رجليه [أى من أبنائه] من يشرع للناس ، وهما موسى وعيسى عليهما السلام ، إلى أن يأتى شيلون الذى تخضع له الشعوب ، وشيلون لا يصح أن يكون من ذرية يهوذا ، لأن بمجيئه ينتهى العهد من ذرية يهوذا ، ولا يصح أن يكون المسيح لأن المسيح لم تخضع له شعوب ، وهو من ذرية يهوذا عند متى ولوقا .

ويجعل سفر التكوين لبقاء هذا العهد فى ذرية يهوذا علامة الختان ، فإذا هم أخلوا بهذه العلامة فقد نكثوا عهد الله .. وكان هذا دليلا على تحويل العهد عنهم .. يقول السفر [هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر ، فتختنون فى لحم

غرلتكم فيكون علامة عهدى بينى وبينكم .. وأما الذكر الأغلف الذى لايختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها . إنه قد نكث عهدى][1] .

وقد كان بولس أول من نقض هذا العهد لأجل إرضاء الأمم وهنا تحول عهد الله إلى العرب الذى لا يزالون يحفظون هذا العهد إلى اليوم .

وبعد أن تحولوا إلى عبادة ماليس إلهاً على يد بولس ، أغاظهم الله بما ليس شعباً بأمة غبية ، وهذا مايصوره سفر التثنية [هم أغاروني بما ليس إلهاً أغاظوني بأباطيلهم . فأنا أغيرهم بما ليس شعباً . بأمة غبية أغيظهم][2] . والمراد بالأمة الغبية العرب لأنهم كانوا أميين قال تعالى « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين »[3] .

— نبياً مثل موسى عليه السلام :

جاء سفر التثنية ليؤكد هذه البشارات ، بالنص على أن نبياً من غير بنى إسرائيل سيخرج ، وأنه سيكون مثل موسى فى بنى إسرائيل ، فقد ورد فى الإصحاح الثامن عشر منه : [١٥ يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون ، ١٦ حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت ١٧ قال لى الرب قد أحسنوا فى ما تكلموا ١٨ أقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم مثلك وأجعل

(١) تكوين ١٧ : ١٠ — ١٤
(٢) تثنية ٣٢ : ٢١
(٣) الجمعة آية ٢

كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ١٩ ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه] .

لقد أجمع أهل الديانات السماوية الثلاثة على أن هذه بشارة بنبى ، ولكنهم اختلفوا فى النبى المراد بهذه البشارة ، فاليهود لايزالون ينتظرون مسيا منهم ، مع أن البشارة صريحة فى أنه من غيرهم .

والنصارى لديهم نصان مقدسان يدلان على أن هذه البشارة خاصة بالمسيح ، لكن للأسف هذين النصين ينطويان على جهل فاضح :

النص الأول : منقول فى سفر الأعمال عن بطرس، وعلى أساسه ظن رجال اللاهوت أن هذه النبوة تنطبق على المسيح ، وفهم لوقا خطئاً قصد بطرس ، فنقل عن خطابه فى رواق سليمان مايلى : (فإن موسى قال للآباء إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من أخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به ، ويكون أن كل نفس لاتسمع لذلك النبى تباد من الشعب ، وجميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده ، جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبئوا بهذه الأيام ، أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذى عاهد به الله آباءنا قائلا لإبراهيم : وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض)[1] .

والنص يشير إلى ما ورد فى سفر التثنية من البشارة بأن نبياً مثل موسى سيبعث ولكن عندما يقطع الكلام يدل على غير ما هو فى السياق ، ولوقا — كاتب النص — لم يسمع بأذنيه خطاب بطرس فى رواق سليمان ، ولم يكن شاهد عيان لهذا الاجتماع ، ولا شك أن هذه الاجتهادات من قبل آباء الكنيسة قد كذبتها الأيام ، وأظهر الله دينه على الدين كله ، فظهر نبى العرب مثل موسى نبى بنى إسرائيل عليهما السلام .

(١) سفر الأعمال ٣ : ٢٢ - ٢٥ .

والنص الثانى : فى يو ١ : ٤٥ (فيلبس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس ، والأنبياء يسوع ابن يوسف الذى من الناصرة ، فقال له نثنائيل أمن الناصرة يمكن أن يكون شىء صالح ، قال له فيلبس تعال وانظر) .

ومن هذين النصين جزم النصارى بأن هذه البشارة إنما هى بالمسيح ، ولكن كثيرين منهم تراجعوا عن الإيمان بها ، يقول القس حنا جرجس (فمع أن هذه النبوءة — تث ١٨ : ١٥ — تشير إلى النبى الأعظم المسيح إلا أن الكثيرين رأوا فيها إشارة إلى زربابل)[١] .

وهؤلاء لما تعذر عليهم جعلها للمسيح قالوا : إن جعلها لزربابل خير من أن يظفر بها نبى العرب ، مع أن زربابل هذا من بنى إسرائيل ، وليس من إخوانهم العرب[٢] .

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى د / حنا جرجس الخضرى ج ١ ص ٥٦ ط / دار الثقافة .

(٢) زربابل ورد فى شجرة نسب المسيح عند متى ولوقا ، وقد اختلف الإنجيلان فى اسم أبيه ، فهو عند متى من نسل سليمان بن داود ، قال كاتب إنجيل متى (ويسى ولد داود الملك . وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا ، وسليمان ولد رحبعام ورحبعام ولد أبيا . وأبيا ولد آسا . وآسا ولد يهوشافاط ، ويهوشافاط ولد يورام ويورام ولد عزيا وعزيا ولد يوثام . ويوثام ولد أحاز . وأحاز ولد حزقيا . وحزقيا ولد منسى ومنسى ولد آمون ، وآمون ولد يوشيا ، ويوشيا ولد يكنيا وأخوته عند سبى بابل ، وبعد سبى بابل يكنيا ولد شألتئيل . وشألتئيل ولد زربابل . [متى ١ : ١ - ١٧] . =

ولكن يبدو أن لوقا ويوحنا كانا نصف عارفين بالتوراة ، وهذا من جهل كتبة الأناجيل لأنه لا توجد مماثلة بين موسى وعيسى عليهما السلام ، أو من جهل المبشرين لأن عيسى كان قد أصبح إلهاً فى المجامع ، وموسى أصبح عبداً له !! فحملهم هذا النص على المسيح يخالف معتقدهم فيه لأنه إله ، والإله لا يكون مثل عبيده ، ويتأكد لمن يقرأ هذا السفر

= وهو عند لوقا من نسل ناثان بن داود ، يقول كاتب الإنجيل : (زربابل بن شألتئيل بن نيرى بن ملكى بن أدى بن قصم بن المودام بن عير بن يوسى بن أليعازر بن يوريم بن متثاب بن لاوى بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن ألياقيم بن مليا بن مينان بن متاثا بن ناثان ابن داود بن يسى [لوقا ٣ : ٢٢ - ٣٨] .

وفى متى (يكينا ولد شألتئيل) وهذا يتعارض مع ماجاء فى إر ٢٢ : ٣٠ (أكتبوا هذا الرجل عقيماً) وثمة خلاف بين هذا النص وبين الترجمة المشتركة حيث فيها (كتب على هذا الرجل أن يفقد بنيه ، وأن لاينجح فى حياته ، وأن لا يكون له من نسله أحد يجلس على عرش داود ، ويحكم فى يهوذا من بعد) والظاهر أن المشتركين فى الترجمة الحديثة وضعوا فى اعتبارهم تعديل سفر ارميا بما يوافق متى ! والواضح من (١ أخ ٣ : ١٩ أن زربابل هو ابن فداى بن شألتئيل فأسقط متى (فداى) وزربابل ولد أبيهود ، وفى لو ٣ : ٢٧ زربابل ولد ريسا ، وبالرجوع إلى ١ أخ ٣ : ١٩ نجد أن زربابل كان له ابنان شلام وحنانيا وليسا ريسا وأبيهود ، وزربابل بهذه الصورة شخصية غامضة محشورة فى أسماء من كل صنف ، ولا يتفق أهل الإنجيل عليها ، فكيف يزعمون أنه نبى مثل موسى عليه السلام ، وهو لم ينل من الشهرة درجة تجعل بعض الخواص يعرفونه ، بينما أهل الكتاب يعرفون محمداً كما يعرفون أبناءهم ! .

من التوراة أن النبي المنتظر ليس من بنى إسرائيل حيث هذا النص الصريح (ولم يقم بعد نبى فى بنى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه)[1] . . ولو كان النبى من بنى إسرائيل لصعب تعيينه لأنهم يفوقون الحصر ، وآخرهم وخاتمهم المسيح عليه السلام . .

ومع ذلك يصر الذين يعتقدون استحالة خطأ لوقا ويوحنا على تلفيق وجوه الشبه بين موسى وعيسى عليهما السلام ، ومن ذلك ما كتبه القس حنا جرجس (لقد كان موسى رمزاً للمسيح فى أشياء كثيرة ، فقد أنقذ كلاهما من الموت فى سن الطفولة ، وترك كلاهما المجد لكى يشاركا اخوتهما فى المشقة والآلام (عب ٣ : ٢ - ٤) وكانا متواضعين بفيضان بالحب والحنان والحلم (عد ١٢ : ٣ ، ٢٧ : ١٧) متى ١١ : ٢٩ ، ٩ : ٣٦) وكانا شفيعين (تث ٩ : ١٨ ، عب : ٧ : ٢٥) وكلاهما عرف مجد الله وأعلنه (خر ٣٤ : ٢٩ ، ٣٥ ومتى ١٧ : ١ - ٨ ولوقا ٢٤ : ١٩ ، ويو ١٧ : ١ - ٥ و ٢ كو ٣ : ٧ وكان كلاهما أيضاً وسيطى عهد (تث ٢٩ : ١ ، عب ٨ : ٧٦)[2] .

ولم يطاوعه قلمه فى كتابة عبارة (إن موسى هو مثل المسيح عليهما السلام) فقال رمزاً للمسيح ، ولو فككت هذه الرموز ماخرجت بشىء ، ولولا الإطالة لأظهرت لك مابينها من تنافر ؟؟ عدا قوله (وكلاهما عرف مجد الله وأعلنه) فهذا هو الحق الذى لاريب فيه .

ونحن إذ نقبل مناقشة هذا الفهم ، فإننا لا نناقش المبشرين ، وإنما نناقش الأناجيل التى فسرت هذا التفسير الخاطىء . ونتمسك بهذا النص

---

(١) تثنية ١٨ : ١٠

(٢) تاريخ الفكر المسيحى جـ ١ ص ٣٦

الذى ينفى البشارة عن زربابل والمسيح ، (ولم يقم بعد نبى فى بنى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه) .

وهذا النص إذا كان ينفى البشارة عن المسيح وعن زربابل لأنهما من بنى إسرائيل ، فإنما يؤكد نسبتها لنبى الإسلام ﷺ ، وتفصيلا لهذا الإجمال نذكر لك أوجه الافتراق بين موسى والمسيح عليهما السلام ، ثم نتبعها بذكر أوجه الاتفاق بين موسى ومحمد عليهما السلام .

أولا : أوجه الاختلاف بين موسى والمسيح عليهما السلام :

١ — أن عيسى — والعياذ بالله — صار ملعوناً — عند النصارى — لشفاعة الخلق كما صرح به بولس (المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة)[1] . وموسى عليه السلام ما صار ملعوناً لشفاعة اليهود ولا لشفاعة غيرهم .

٢ — أن عيسى عليه السلام صلب على زعم النصارى ليكون كفارة لأمته وموسى عليه السلام ما صلب ولا صار كفارة .

٣ — أن عيسى عليه السلام دخل الجحيم بعد موته لإخراج أرواح الأنبياء والقديسين ، وموسى عليه السلام ما دخل الجحيم لهذا الغرض ولا لغيره .

٤ — أن شريعة موسى مشتملة على الحدود والتعزيرات وأحكام الغسل والطهارات والمحرمات من المأكولات والمشروبات بخلاف الأناجيل فإنها فارغة عنها ، بل إن بولس ألغى الشريعة جملة وتفصلا .

---

(١) غلاطية ٣/١٣

٥ — أن موسى عليه السلام كان رئيساً مطاعاً فى قومه وعيسى عليه السلام لم يكن كذلك .

٦ — أن موسى عليه السلام ولد من أبوين ، ولا خلاف على أبويه ولا أحدهما ، وعيسى عليه السلام ولد من عذراء مخطوبة لرجل نجار ، وصلة النجار بعيسى موضع خلاف كبير بين العوام والخواص على السواء من النصارى .

٧ — أن موسى عليه السلام كان صاحب زوجة وأولاد وعيسى لم يكن كذلك[1] .

٨ — أن موسى عليه السلام لم يقترعوا على ملابسه ، ولم يقم من بين الأموات ، وأما المسيح فقد اقترعوا على ملابسه وقام وترك القبر فارغاً كما حكت الأناجيل .

٩ — أن موسى عليه السلام لم يظهر لبنى إسرائيل بعد مامات والمسيح ظهر لتلاميذه ولغيرهم .

١٠ — إن المسيح فى زعمهم إله ، وموسى بشر ولا يصح المساواة بين الله والبشر .

تلك عشرة كاملة من أوجه الاختلاف بين موسى والمسيح عليهما السلام ، وإليك أوجه الاتفاق بين موسى ومحمد عليهما السلام :

— دعوة موسى عليه السلام كانت إلى التوحيد الخالص ، وكذلك دعوة محمد عليه السلام .

---

(١) انظر إظهار الحق الشيخ رحمت الله الهندى ج ٤ ص ١١١٧ ، ١١١٨ ط / ثانية دار الحرمين .

— موسى ومحمد عليهما السلام كانا عبدين ورسولين لله ، ولم يكونا أكثر من ذلك .

— موسى ومحمد عليهما السلام مولودين من أبوين ، ولهما زوجة وذرية ، ولم يحدث خلاف فى نسبهما .

— اشتملت شريعة موسى ومحمد عليهما السلام على السياسات المدنية ، وتعيين الحدود والتعويرات والقصاص ، والجهاد فى سبيل الله .

— وجوب الغسل للجنب والحائض والنفساء واشتراط طهارة الثوب والبدن والمكان فى العبادة فى شريعتيهما عليهما السلام .

— تحرم شريعتيهما غير المذبوح وقرابين والأوثان ولحم الخنزير .

— موسى ومحمد عليهما السلام ماتا على الفراش ، ولم يقما من قبرهما ، ولم يتركا القبر فارغاً .

— موسى ومحمد عليهما السلام ليسا بملعونين لأجل أمتهما ، ولا غير أمتهما .

— موسى ومحمد عليهما السلام هاجرا من وطنيهما ، أما محمد فإلى المدينة وأما موسى فإلى مدين .

فهل يستطع أحد أن يقول : إن زربابل أو أشعياء أو المسيح كان مثل مثل موسى بهذه المطابقة .

وقد وقع فى البشارة عبارة (أجمل كلامى فى فمه) وهى تشير إلى وجه مخالفة بين القرآن والتوراة ، فالقرآن لا زال نصه محفوظاً فى الصدور والسطور ، ولم يقع فيه التحريف الذى وقع فى كتابى موسى وعيسى عليهما السلام .

وهكذا نصت البشارة على وجه المخالفة ، وتركت أوجه الاتفاق

يجمعها قوله (مثلك) الذى يتجاهله المبشرون ويركزون جهودهم على محاولة نفى المساواة بين موسى ومحمد عليهما السلام ، فالأول تهذب بحكمة المصريين والآخر كان أمياً جاهلا ، ولا يستطيع مسلم أن يقول إن المسيح تهذب بحكمة الرومان ، ولا موسى بحكمة المصريين ، وهذا — إن كان قد حدث — فهو خطأ وقع فى خطبة استفانوس [أعمال ٧ : ٢٢] ولم يناقشه أحد فى خطبته وزعمه ، والحق أن موسى عليه السلام وإن كان قد عرف الثقافة المصرية من معاشرة الكهنة ، إلا أنه لم يقبل ألوهية فرعون بحال من الأحوال ، ولا أعتقد أنه تعامل مع فرعون على أنه إله فهو رسول عصمه الله ، وهكذا محمد ﷺ لم يقبل آلهة قريش ولا احترمها ، لا قبل البعثة ولا بعدها ، وصدق الله العظيم حين خاطب كفار قريش بقوله « إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ، فعصى فرعون الرسول . فأخذناه أخذاً وبيلا »[1] .

فهذه أول آية تنزل فى شأن موسى وفرعون ، وهى تشير إلى أن دعوة محمد عليه السلام ستسلك مع أهل مكة نفس نهج دعوة موسى مع فرعون وأن صناديد قريش سيرفضون دعوته كما رفضها فرعون ، وأن الله سيأخذهم كما أخذ فرعون . وقد كان كل ذلك .

(١) المزمل ١٥ ، ١٦

البشارة بمحمد ﷺ

فى الزبور

— الحجر الذى رفضه البناءون :

فى المزمور ١١٨ : ٢٢ ، ٢٣ (الحجر الذى رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا) .

ظلت هذه النبوءة دون أن يمسها تحريف واستشهد بها بطرس للتدليل على حقيقة شخصية يسوع المسيح قائلا : (فليكن معلوما عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصرى الذى صلبتموه أنتم الذى أقامه الله من الأموات بذاك وقف أمامكم صحيحا ، هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيها البناءون الذى صار رأس الزاوية ، وليس وبأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص)[1] .

هذه الشهادة فى سفر أعمال الرسل ، وهذا يعنى أن بطرس لم يكتبها بخطه ، كما أنها لم ترد فى إحدى رسالتيه[2] ، وهى تحمل الكثير من الغرابة ، كيف يقع بطرس فى خطأ كهذا ، وكيف لا يعرف البناءين الذين كتبوا التوراة ورفضوا أن ينال إسماعيل نصيبه فى بركة إبراهيم الذى تباركت فيه جميع أمم الأرض ، والأعداد ٨ — ٢١ من الإصحاح العشرين من سفر التكوين تؤكد هذا الرفض ، والبناءون يضعون عنوانها فى طبعاتهم للكتاب المقدس (طرد هاجر وإسماعيل) ولهذا دمغ المسيح فقهاء الشريعة من الصدوقيين بأنهم يضلون (إذ لا يعرفون الكتب

(١) أعمال الرسل ٤ : ١٠ — ١١

(٢) لبطرس رسالتان فى العهد الجديد ، ونسبتها إليه موضع شك كبير

ولا قوة الله)[1] . ودمـــغ حواريه بالجهل والغباء ، حين حدثهم (وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئا و كان الأمر مخفيا عنهم ولم يعلموا ما قيل)[2] .

فما بال كاتب سفر الأعمال وقد استشهد يسوع ذاته بهذا النص : (وقال لهم يسوع أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب ، كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ، لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه)[3] .

ما بال كاتب سفر الأعمال وقد أخبرهم المسيح صراحة أن ملكوت الله ينزع منهم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، لاشك أن الحجر المرفوض هو إسماعيل بن إبراهيم شقيق إسحاق عليهم صلوات الله وسلامه لقول سارة (اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق) والأمة التى تعمل أثماره هى تلك الأمة المسلمة التى جاء ذكرها فى دعاء إبراهيم عليه السلام ، « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » .

لقد ظل البناء فى حاجة إلى هذا الحجر الذى أصبح رأس الزاوية ، حتى كان رسول الله ﷺ ، فأتم الله به البناء[4] ، وختم به النبيين ، وبعثه إلى الناس كافة ، و كان النبى يبعث إلى قومة خاصة .

---

(١) متى ٢٢ : ٢٩

(٢) لوقا ١٨ : ٣٤

(٣) متى ٢١ : ٤٢ — ٤٤

(٤) عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : مثلى ومثل الأنبياء =

— أهل التطويب[1] :

جاء فى المزمور ٨٤ لداود عليه السلام قوله (طوبى لأناس عزهم بك ، يعبرون واد البكاء يصيرونه ينبوعاً) .

فمن هؤلاء الناس الذين عزهم بالله ، ويعبرون وادى البكاء ؟ يوضح ذلك الصفات الواردة عنهم فى المزمور فقوله (طوبى لأناس عزهم بك) صفة عامة يمكن أن يدعيها أهل الديانات السماوية الثلاث وغيرهم .

وقوله (طرق بيتك فى قلوبهم) تفسير جلى لصفة أهل التطويب الذين عزهم بالله ، إن طرق بيته فى قلوبهم ، وقد يتحاشى الشراح النصارى أن يتعرضوا للمقصود بكلمة [بيتك] فى شروحهم ، مع أنها واضحة فى الإشارة إلى فريضة الحج التى فرضها الله على المسلمين الذين يأتون من شتى بقاع الأرض عابرين وادى مكة يصيرونه ينبوعا عامراً بالحياة والمساواة بين جميع الأجناس التى ساوى بينها الإسلام .

ولا شك أن هناك قواعد يعلمها جيداً الذين يقومون بالعمل فى الترجمة من لغة إلى أخرى ، ومن هـــذه القواعد أن أسماء الأعلام

= قبلى كمثل قصر أحسن بنيانه ترك منه موضع لبنة ، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة ، فكنت أنا سددت موضع اللبنة ختم بى البنيان وختم بى الرسل وفى رواية [فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين] متفق عليه .

(١) المقصود المدح ، وأهل التطويب هم أهل طوبى ، وفى إنجيل متى ٥ : ٣ — ١٠ ثمانية تطويبات ، وفى القرآن الكريم «طوبى لهم وحسن مآب» الرعد آية ٢٩

والأماكن لا تترجم بل تنقل كما هى ، فمثلا إذا أردنا أن ننقل عبارة (مدينة باريس) إلى اللغة الإنجليزية تصير Paris City فاسم المكان يبقى كما هو ، فالناس لا يترجمون أسماء مثـــل باريس وواشنطن ، وإلا لحدث الخلط بين أهل اللغات المختلفة فى التعارف على هذه الأماكن .

وترجمة (وادى البـكاء) هى من هذا القبيل ، فمن أسماء مكة بكة ، وكلمتى (بـكة) و (بـكاء) قريبتان فى النطق وإن كانا معناهما يختلف بعد التحريف اللفظى ، والمبشرون يتمسكون بالمخالفة فى المعنى ، ويقولون إن وادى البـكاء هو وادى الحزن والألم . . وهذا مخالف للترجمة الحديثة التى اشترك فيها علماء من كافة الكنائس والتى تقول : (يعبرون وادى الجفاف) وهذه الترجمة متفقة مع دعاء الخليل عليه السلام ، فيما حكاه القرآن الكريم « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ، فوادى الجفاف هو غير ذى زرع ، وهـكذا تقوى الترجمتان كل منهما الأخرى وتتفقان معنى ولفظا على أن وادى البـكاء هو وادى مـكة ، والمبشرون لا يستطيعون أن يحددوا مكانا آخر ، بعد صرف اللفظ عن معناه الحقيقى .

وتدبر قوله : (يصيرونه ينبوعا) وفى الترجمة المشتركة (فيجعلونه عيون ماء ، بل بركاً يغمرها المطر) فهذه معان حقيقية لا يمكن جعلها تعبيراً عن الحزن والألم ، ولكون الحجاج يعبرون فى وادى الجفاف ، فإنه يصير عيوناً يغمرها الخير والمطر[1] .

(١) ويكفى أن بهذه الأرض المباركة بئر زمزم التى جاء ذكرها =

وهذه النبوءة ليست هى الوحيدة فى الكتاب المقدس التى تشير إلى فريضة الحج ، فقد تنبأ أشعياء عن شعائر الحج بتفاصيلها ، وعن الهدى الذى يقدم فى منى فقال فى الإصحاح الستين : (٤ ارفعى عينيك حواليك وانظرى ، قد اجتمعوا كلهم ، جاءوا يأتى بنوك من بعيد ، وتحمل بناتك على الأيدى ، ٥ حينئذ تنظرين وتنيرين ، ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ، ويأتى إليك غنى الأمم ٦ تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها من شبا ، تحمل ذهباً ولباناً وتبشر بتسابيح الرب . ٧ كل غنم قيدار تجتمع إليك كباش نبايوت تخدمك ، تصعد مقبولة على مذبحى وأزين بيت جمالى) .

فقوله (لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتى إليك غنى الأمم) تحقيقاً للدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

وقوله : (تغطيك كثرة الجمال . بكران مديان وعيفة) : مديان وعيفة ابنى إبراهيم عليه السلام من زوجته التى تسمى قطورة[1] .

وقوله (كل غنم قيدار تجتمع إليك . كباش نبايوت تخدمك) يتحدث عن أبناء قيدار ، وهو الجد الأعلى لسيدنا رسول الله وخاتم النبيين ﷺ . ففى سفر التكوين (وهذه مواليد إسماعيل بن إبراهيم الذى

= فى سفر التكوين (ففتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء) والنص سبقت الإشارة إليه ، ولا تزال أمة الإسلام ترتوى من هـــذه البئر إلى اليوم .

(١) تكوين ٢٥ : ١ — ٤

ولدته هاجر المصرية جارية سارة لإبراهيم . وهذه أسماء بنى إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم : نبايوت بكر إسماعيل وقيدار وأدبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة ، هؤلاء هم بنو إسماعيل ، وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم ، أثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم)[1] .

وقوله (تصعد مقبولة على مذبحى وأزين بيت جمالى يفسره حديث القرآن الكريم عن الهدى ، « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » وقوله « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » .

(١) تكوين ٢٥ : ١٢—١٦

البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم

فى سفر أشعياء

مكث أهل الكتاب يقرأون فى كتبهم أن هذا النبى ليس من بنى إسرائيل ، بل هو نبى مثل موسى فى إخوتهم بنى إسماعيل ، لكنه يختلف عن موسى فى أنه سيكون أمياً كما تنبأ أشعياء قائلا : [وصارت لكم رؤيا الكل مثل كلام السفر المختوم الذى يدفعونه لعارف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول لا أستطيع لأنه مختوم ، أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له اقرأ فيقول لا أعرف الكتابة][1] .

وقد تحققت هذه البشارة فى محمد — ﷺ — أخرج البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : [أول مابدىء به رسول الله — ﷺ — من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ، وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك . . حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ ؟ قال ما أنا بقارىء ، قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال أقرأ قلت ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال أقرأ فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم][2] .

فقوله : « اقرأ » تحقيق للبشارة [أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف

(١) أشعياء ٢٩ : ١١—١٢

(١) أنظر فتح البارى ج ١ ص ٢٥ ، ٣٠

الكتابة ويقال له اقرأ ، فيقول هذا الأمى لا أعرف الكتابة ، أى ما أنا بقارئ .

وفى الإصحاح الثانى والأربعين من سفر أشعياء ما نصه [هو ذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى ، وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم .

٢ — لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته .

٣ — قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يطفىء ، إلى الأمان يخرج الحق .

٤ — لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض ، وتنتظر الجزائر شريعته .

٥ — هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها ، باسط الأرض ونتائجها ، معطى الشعب عليها نسمة ، والساكنين فيها روحاً .

٦ — أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك ، وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ، ونوراً للأمم .

٧ — لتفتح عيون العمى ، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة .

٨ — أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر ، ولا تسبيحى للمنحوتات .

٩ — هو ذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها . قبل أن تنبت أعلمكم بها .

١٠ — غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقصى الأرض ،

أيها المنحدرون فى البحر وملؤه ، والجزائر وسكانها .

١١ — لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التى سكنها قيدار ، لترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا .

١٢ — ليعطوا الرب مجداً ، ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر .

١٣ — الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه .

١٤ — قد صمت منذ الدهر سكت تجلدت كالوالدة أصيح ، أنفخ وأنخر معاً .

١٥ — أخرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها ، وأجعل الأنهار يبساً ، وأنشف الآجام .

١٦ — وأسير العمى فى طريق لم يعرفوها ، فى مسالك لم يدروها أمشيهم ، أجعل الظلمة أمامهم نوراً ، والمعوجات مستقيمة ، هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم .

١٧ — قد ارتدوا إلى الوراء يخزى خزياً المتكلون على المنحوتات ، القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا .

١٨ — أيها الصم اسمعوا ، أيها العمى انظروا لتبصروا .

١٩ — من هو أعمى إلا عبدى ، وأصم كرسولى الذى أرسله ، من هو أعمى كالكامل ، وأعمى كعبد الرب .

٢٠ — ناظر كثيراً ولا تلاحظ مفتوح الأذنين ولا يسمع .

٢١ — الرب قد سر من أجل بره . يعظم الشريعة ويكرمها .

٢٢ — ولكنه شعب منهوب ومسلوب قد اصطيد فى الحفر كله ، وفى بيوت الحبوس اختبأوا . صاروا نهباً ، ولا منقذ وسلباً وليس من يقول رد) .

وهذا الإصحاح قرأه سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص ، فلما سئل عن صفات النبى ﷺ فى التورة أخبر ببعض ما فيه ، فقال : أجل . والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفاته فى القرآن ، يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً بأن يقولوا: لا إله إلا الله](١) .

وأنت تلاحظ تشابهاً فى المعنى كبيراً فى مواضع كثيرة بين ما قرأه سيدنا عبد الله ، وما جاء فى النص السابق ، وهذا يدل على أنهم كانوا يطلقون على أسفار العهد القديم اسم (التوراة) وأن ذلك الاسم لم يكن خاصاً بالأسفار الخمسة عندهم .

— يسوع الناصرى :

من عادة متى أن يبحث فى العهد القديم عن أجزاء يمكنه بها أن يدل على أن يسوع هو المسيا ، ويطبق هذه الأجزاء حرفيا ، حتى وإن

(١) أخرجه البخارى فى البيوع .

كانت فى وقتها لم يكن المسيح مقصوداً بها(١) .

وفى متى نرى أن المسيح سيدعى ناصرياً ، وهذه النبوة تواجه المفسرين النصارى بصعوبة كبيرة ، ذلك لأنه لا يوجد نص فى العهد القديم بهذا المعنى ، وحتى مدينة الناصرة نفسها ، غير مذكورة على الإطلاق فى العهد القديم .

ولم يوجد حل كاف لهـــذه المشكلة ، ويعتقد البعض أنه يشير إلى اعتقاد بعض اليهود فى فترة ما بين العهدين ، أن المسيا سيدعى ناصرياً . والبعض الآخر يقول إن الكتاب الأقدمين كانوا دائماً مغرمين باستخدام المحسنات اللفظية مثل الجناس والطباق والكناية فى أساليب الكتابة ، وأن متى يشير إلى الآية الواردة فى أشعياء ١١ : ١ (ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله) ذلك أن كلمة غصن فى الأصل العبرى هى كلمة ناصر(٢) ، ولكننا نعلم من شجرة النسب التى نقلها متى ولوقا أن (يسى) هو والد النبى داود عليه السلام ، فالقضيب الذى يخرج من يسى هو داود عليه السلام ، والغصن الذى ينبت من أصله يحتمل أمرين :

(١) مثل ما جاء فى هوشع ١١ : ١ (عندما كان إسرائيل غلاماً أحببته ، ومن مصر دعوت ابنى) والإشارة الأصلية هنا هى إلى إنقاذ الله لشعب إسرائيل من العبودية فى أرض مصر أيام موسى ، لكن متى اعتبر أن هذا النص بشارة بالمسيح ، وهذا هو أسلوب متى الدائم فى البحث عن نصوص فى العهد القديم يطبقها على حياة المسيح ، وإن لم يبدو هذا مقنعاً بأى وجه من وجوه الإقناع .

(٢) وليم باركلى ح ١ ص ٣٧

الأول : المسيح عليه السلام إذا اعتبرنا أن هذا الأصل هو يعقوب .

الثانى : محمد ﷺ ، وذلك إذا اعتبرنا أن الأصل هو إبراهيم عليه السلام ، وأما إذا اعتبرنا أن المسيح من نسل داود حسب ما جاء فى إنجيلى متى ولوقا ، فإن البشارة عند ذلك تنحصر فى نبى الإسلام ، والأمر عندنا سيان .

• • •

البشارة بمحمد ﷺ

فى الإنجيل

لن نحاول التركيز على إنجيل بذاته لنستخرج منه بشارة أو أكثر ، وإنما سنأخذ غرضنا من معنى كلمة « إنجيل » نفسها .

إن كلمة « إنجيل » — كما نعلم — يونانية معناها البشارة ، والبشارة لا تكون إلا بالخبر السار ، ويعتقد النصارى أنها بشارة بالخلاص من خطيئة آدم ، غير أن أحداث الخلاص ليست سارة ، فموت المسيح على الصليب لا يمكن أن يكون خبراً سارا ، بل هو خبر مفزع .

فهل الإله إذا قتله جماعة من المجرمين يعتبر هذا حدثاً مفرحاً للعالم ؟ وهل هو خلاص من معصية آدم أم خلاص من ابن الله الوحيد ، الذى لا حيلة لأبيه إلا به ؟

إن الخلاص لا يمكن أن يكون قد تحقق طالما أن موجبات هذا الخلاص مستمرة ، فلا زال الناس يقعون فى خطايا تفرق خطيئة آدم ملايين المرات ، وإذا قلنا إن قتل الإله ليس خبراً سارا ، فإن أمامنا الفرصة لتفسير معنى كلمة « إنجيل » ، وعرض الخبر السار الحقيقى الذى يتفق عليه يوحنا المعمدان والمسيح وحوارى المسيح عليه السلام .

ينقل متى فى الإصحاح الثالث عن يوحنا المعمدان ما يأتى « وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات فإن هذا هو الذى قيل عنه بأشعياء النبى القائل صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة » .

وقد حاول متى ربط ظهور يوحنا بنبوة أشعياء النبي « صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب ، قوموا في القفر سبيلا لإلهنا »[1] فهذا الصوت — كما يعتقد متى — هو يوحنا الذي أظهر الصدوقيون والفريسيون في بادىء الأمر اعتباراً له كنبي ، ولكن قل اعتبارهم له بعد قليل بسبب موعظته ، ولما نادى بأن يسوع هو المسيح أنكروا نبوته وسلطانه فعلا إن لم يكن قولا[2] ، والسبب هو أن اليهود كانوا ينتظرون مسيا من نسل داود ، وإزاء هذا الإصرار والتعنت اليهودي اضطر النصارى الجدد بزعامة بولس أن يخترعوا شجرة نسب للمسيح تصله بداود عليه السلام .

وربما ظهر لمن يتأمل هذه المسألة أن لوقا يخالف متى ، فإذا كان الذي يعد طرق الرب هو المسيح عند لوقا فإنه يوحنا عند متى يقول لوقا في الإصحاح الأول : « ٧٦ وأنت أيها الصبي نبي العلي تدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه » أي لتبشر وتمهد الطريق للنبي القادم ولتبشر بملكوت الله .

ولكن النصارى دون تدبر للأمر أخذوا برأي متى وتركوا لوقا ، وقالوا : إن نص أشعياء بشارة بـ « يوحنا » وليس بالمسيح ، وللوهلة الأولى تعجبت ، لماذا لم يجعلوا نص إشعياء بشارة بالمسيح ، ولم يدم تعجبي طويلا ، فقد أدركت أنهم يريدون أن يقولوا إن نص إشعياء يبشر بيوحنا ، ونص يوحنا يبشر بالمسيح ، فقلت لا بأس ، لنمض في هذا الطريق ، ولندور معه حيث دار ، ولم يدم السير حتى وجدت المسيح نفسه يبشر بنفس البشارة ،

(١) أش ٤٠ / ٣

(٢) الكنز الجليل متى ٣ : ٧

في الإصحاح الرابع من إنجيل متى « ١٧ من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » .

بل ويأمر المسيح تلاميذه بأن يبشروا باقتراب ملكوت الله « وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين : إنه قد اقترب ملكوت السموات »[1] .

ونفس المعنى يؤكده لوقا في الإصحاح العاشر من إنجيله : « ٩ وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت الله » .

والغريب أن النصارى يؤمنون أن المراد بملكوت الله المسيح عليه السلام ، وهذا يعني أن الحواريين كانوا يبشرون بالمسيح . ؟ وأن المسيح كان يبشر بنفسه . وأن التلاميذ كانوا يبشرون بسيدهم . ؟ وأن المبشر به سبق البشارة ، ولو كان الأمر كذلك لغير الحواريون الصيغة التي تقول « قد اقترب » إلى « قد أتى » ، فظهر من كل هذا أن يوحنا والمسيح والحواريين كانوا جميعاً يبشرون بشيء واحد أسموه « ملكوت الله » أو « ملكوت السموات » .

ومن غير الجائز أن يكون المراد بهذا الملكوت طريقة الخلاص التي ظهرت بالمسيح ، وإلا لقطع النصارى دعاءهم في الصلاة « ليأت ملكوتك » ١٠/٦ لأن الملكوت يكون قد حدث بمجيء المسيح .

وملكوت الله إذا جاء لا يمكن أن يكون في صورة الضعف التي ظهر بها المسيح أمام اليهود والرومان وإنما يكون في صورة السلطنة والقوة ، يقول بنيامين بنكرتين في تفسير إنجيل متى ص ٣٧ « ولم تعط النبوات الصريحة من جهة ملكوت السموات إلا وقت دانيال بعد نقل عرش الرب من أورشليم وخراب بيت داود حسب ترتيبه الأول ، على أن دانيال لم

(١) متى ١٠ — ٧

يذكر أن هذا الملكوت سيقام فعلا إلا عند انتهاء أزمنة الأمم، واسترداد السلطان من أيديهم إلى صاحب الحق فيه، ويقول دانيال فى تفسير رؤيا بختنصر «وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماء ملكا لا تخرب أبداً، ولا يغلب سلطانها شعب آخر، فتسحق وتفنى جميع تلك الممالك، وهى تثبت إلى الأبد»[1].

ويرفض المسيحيون بالإجماع أن يكون المسيح جاء بالقوة أو بالسيف ويعتقدون أن هذا هو سبب رفض اليهود له، لأنهم ينتظرون ويستفتحون على الذين كفروا، بمن يأملون أن يخلصهم هم فحسب من الاضطهاد كما خلصهم موسى من ظلم المصريين.

ويقول د/ حنا جرجس الخضرى: إن عقيدة ظهور مسيا محارب يدافع عن الشعب اليهودى المضطهد المستمر، ويسحق أعداءه ويدوسهم تحت قدميه انتشرت على نطاق واسع فى القرن الأول، أى فى أثناء وجود السيد على الأرض.

إن التمسك بهذه العقيدة هو الذى دفع الكثيرين من اليهود للانضمام إلى الأحزاب السياسية الدينية التى كانت تحارب الرومان للحصول على الاستقلال السياسى الذى يؤدى بهم إلى تأسيس دولة ثيوقراطية[1].

فعندما جاء المسيح إلى الأرض كان معظم هذه الأحزاب الدينية تنتظر المسيا، ولكن المسيا المحارب المقاتل الذى يحرر شعب اليهود من الاستعمار جاء السيد إلى خاصته التى كانت تنتظر ظهوره، ولكن خاصته لم تعرفه،

---

(١) دانيال ٣ : ٤٤ — ٤٥

فحتى تلاميذه أقرب الناس إليه، الذين أكلوا وشربوا معه لم يستطيعوا فى بادىء الأمر التمييز بينه وبين المسيا السياسى)[1].

فهم كانوا ينتظرون مسيا مثل موسى، يحارب وينتصر على أعدائه ويعيد اليهود إلى سابق عهدهم يوم أن فضلهم الله على العالمين. كانوا ينتظرون المسيا الذى يجمعهم من الشتات ويحميهم من الاضطهاد، ولم يأت المسيح لهذا الغرض، وإنما جاء مبشراً فقط بمن يتحقق على يديه هذا الأمل، وليعد الطريق لقدومه.

ولأجل هذا أكثر المسيح من ضرب المثل، لتوضيح المراد بملكوت الله، فمرة شبهه بحبة خردل زرعها الإنسان فأثمرت، ففى الإصحاح الثالث عشر من إنجيل متى: قدم لهم مثلا آخر قائلا: (يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها فى حقله، وهى أصغر جميع البزور[2]، لكن متى نمت فهى أكبر البقول وتصير شجرة حتى إن طيور السماء تأتى وتتأوى فى أغصانها[3]، ولا يكون الملكوت كذلك إلا إذا كان يعتمد على القوة تحمى الأتباع، وتجعل طيور السماء الضعيفة تتأوى إلى هذه الشجرة، وتبيت آمنة على أغصانها، وصدق الله العظيم حيث يقول «ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ج ١ ص ٣٧٧، ٣٧٨

(٢) البزور هكذا فى الطبعات البروتستانتية، وفى مختار الصحاح البزر بزر البقل وغيره، ودهن البزر، والبزر بالكسر أفصح والجمع الأبزار والأبازير، وفى الترجمة الحديثة المشتركة (وهى أصغر الحبوب كلها) وفى الترجمه التى وضع بهامشها التفسير التطبيق (البذور) بالذال.

(٣) متى ١٣ / ٣١، ٣٢.

فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً »(١) .

وأعطاهم المثل تلو الآخر مما يؤكد أهمية هذا الأمر ، ففى الإصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى (٣٣ اسمعوا مثلا آخر . كان إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى كرامين وسافر ، ٣٤ ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره ، ٣٥ فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضا ، ٣٦ ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين ، ففعلوا بهم كذلك ، ٣٧ فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلا يهابون ابنى ، ٣٨ وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث ، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه ، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه ، ٤٠ فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ٤١ قالوا له ، أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً رديا ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها ، ٤٢ قال لهم يسوع أما قرأتم قط فى الكتب ، الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ، ٤٣ لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ٤٤ ومن سقط على الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه) .

فرب البيت كما لايخفى كناية عن الله تعالى ، والكروم كناية عن الشريعة ، والكرامون كناية عن اليهود كما فهم رؤساء الكهنة والفريسيون أنه تكلم عليهم ، والعبيد المرسلون كناية عن الأنبياء والابن كناية عن المسيح آخر

(١) الفتح آية ٢٩ .

هؤلاء الأنبياء ، وقد حاولوا قتله والحجر الذى رفضه البناءون كناية عن نسل إبراهيم عليه السلام من هاجر المصرية ، والبناءون كناية عن كتبة الأسفار المقدسة ، والأمة التى تعمل أثماره هى أمة محمد ﷺ .

وهكذا يكون المسيح قد قدم معلومات كافية عن صفات ملكوت الله ، ولا يعقل أن تكون كل هذه المعلومات والتشبيهات يريد بها نفسه فتلك بشارات وتنبؤات لاتكون منه لنفسه ، والقرآن الكريم يوضح أنه عليه السلام بشر الحواريين برسول يأتى من بعده اسمه أحمد .

— بالروح القدس أم بمحمد عليه السلام ؟

اعلم أن نبوات العهد الجديد لا تصلح أن تكون نبوات عن المسيح عليه السلام ولا عن الروح القدس ، لأن العهد الجديد لم يدون إلا بعد وقوع الصلب وحلول الروح القدس ، فكيف يزعمون أن العهد الجديد يتنبأ بأحداث وقعت قبل أن يدون . ؟ ولو أردنا أن نتعرف على بعض المعلومات عن الروح القدس لتعذر علينا أن نصل إلى ذلك من خلال الكتاب المقدس . إن هذا الأقنوم لم يحظ بأدنى اهتمام من قبل محررى العهد الجديد ، وكثيرون من آباء الكنيسة تجاهلوا الحديث عنه وبخاصة فى القرون الأولى ولازالت المكتبة النصرانية تفتقر إلى الكتب التى تتحدث عن هذا (الأقنوم المبارك) واهتمام القدماء والمحدثين على السواء إنما هو بشأن إثبات ألوهية الإله الابن ، لأنه الإله الوسط(١) وخير الأمور الوسط !! .

(١) فهو وسط بين الله والناس فى الخلاص ، وبين الأب والروح القدس فى المحبة . وبين اثنين من المجرمين فى الجزاء أو فى الصلب (لو٣٣، ٣٣)

تدبر : هذا الإله المغمور لدى أصحابه كيف يطبق المبشرون النبوات الخاصة بمحمد عليه السلام عليه، أليس الروح القدس فى عرفهم أحد الأقانيم الثلاثة التى يتكون منها الله ؟ إنه لمنطق غريب حقاً أن يعتقد هؤلاء القوم أن كتب الأنبياء تتنبأ بمجىء الآلهة ورحيلها ، وانطلاقها وحلولها ، وصعودها ونزولها !!

والآن أنقل نص النبوءة التى يزعمون أنها تتكلم عن الروح القدس ، وليحكم العقلاء !

ورد فى الإصحاح ١٤ من إنجيل يوحنا مايأتى : (١٥ إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ١٦ وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد ١٧ روح الحق الذى لايستطيع العالم أن يقبله لأنه لايراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم . . . ٢٦ وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم . . ٢٩ وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون) .

وفى الإصحاح ١٥ : « ٢٦ ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء » .

وفى الإصحاح ١٦ : ٧ لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ٨ ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة ٩ أما على خطية فلأنهم لايؤمنون بى ١٠ وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى ولا ترونى أيضاً ١١ وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين ١٢ إن لى أموراً كثيرة أيضاً

لأقول لكم ، ولكن لاتستطيعون أن تحتملوا الآن ، ١٣ وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لايتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ، ١٤ ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم ١٥ كل مالآب هو لى ، لهذا قلت إنه يأخذ مما لى ويخبركم ، بعد قليل أيضاً لاتبصروننى ثم بعد قليل أيضاً ترونى لأنى ذاهب إلى الآب » .

ويستنكر المبشرون أن تكون بشارة الفارقليط لعبد من عباد الله ويصرون على أنها بشارة بالله نفسه ، أو بالأقنوم الثالث والأخير من الأقانيم المباركة ، والقس إبراهيم سعيد خير من يمثل رأى النصارى فى تفسير هذه النصوص لأنه حاول أن يجمع جهود المفسرين والشراح التى بذلت لصرف هذه الآيات عن أن تكون بشارة بنبى الإسلام ، وفوق هذا راح يهمس فى آذاننا ، بأن هذا يعتبر اعترافاً ضمنياً منا بأن نبينا هو رسول المسيح ، وليس رسول الله !!

وإليك ما قاله القس بكل أمانة ، ثم نحاول الرد عليه ، فينجلى لك الأمر قال بعد أن حكى زعم من يقول إن هذه الآيات نبوءة عن نبى العرب : ورداً على هذا نكتفى بإيراد حجتين :

أولاهما : أن الأوصاف المنسوبة إلى المعزى فى يوحنا ١٤ ، ١٥ ، ١٦ تتناقض تناقضاً كلياً والأوصاف المعروفة عن نبى العرب فى :

(١) أن المعزى روح لايراه العالم ولا يعرفه ، وأما نبى العرب فهو إنسان رآه العالم وعرفه .

٢ — أن المعزى يمكث بشخصه مع المؤمنين إلى الأبد ، وأما نبى العرب فقد مات ، وقبره معروف أمره . وإليه يحج كثيرون من أتباعه فى كل عام مرة .

٣ – أن المعزى أرسل إلى تلاميذ المسيح وهم يهود جنساً ، وأما نبى العرب فقد جاء إلى العرب .

٤ – ان الغاية القصوى من رسالة الروح هى تبكيت العالم على خطية عـــدم الإيمان بالمسيح [يوحنا ١٦ : ٩] والشهادة للاهوت المسيح [١ كورنثوس ١٢ : ٣] وأما نبى العرب فقد وقف رسالته على محاولة هدم لاهوت المسيح .

والحجة الثانية هى : أن معنى الكلمة الأصلية المترجمة (المعزى) ينقض هذا الرأى من أساسه ، ذلك أن معناها الأساسى الوكيل ، وواضح من سورة الإسراء آية ٥٤ أن نبى العرب ليس بالوكيل « وما أرسلناك عليهم وكيلا » كما يتضح جلياً من سورة النساء آية ٨٠ أن الله وحده هو الوكيل « وكفى بالله وكيلا » وبما أن كلمة (الوكيل) قد نسبت فى الإنجيل إلى الروح القدس وإلى المسيح [١ يوحنا ٢ : ١] فهذه شهادة ضمنية من القرآن للاهوت المسيح .

وفوق هذا فإننا نهمس فى آذان إخواننا الذين يزعمون هذا الزعم مسرين إليهم بأن حسبانهم ماجاء فى الإنجيل عن المعزى منطبقاً على نبيهم ، يعتبر اعترافاً ضمنياً منهم بأن نبيهم هو رسول المسيح ، لأن المسيح يقول فيه (ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم) يوحنا ١٥ : ٢٦ فينتج عن هذا أن المسيح هو الله الذى يرسل الأنبياء والمرسلين ا . هـ

• مناقشة هذا الرأى :

فى البداية نؤكد على أننا لانحاول إثبات هذه النبوءات لنبى الإسلام ، فإن نبوته ﷺ أثبت من الكتاب المقدس نفسه ، وفقط نعمل الآن على رد الحجتين بحجتين .

وحجته الأولى : أن الأوصاف المنسوبة إلى المعزى فى يوحنا ١٤ ، ١٥ ، ١٦ تتناقض كلياً والأوصاف المعروفة عن نبى العرب وذكر أربعة أدلة على ذلك :

١ – أن المعزى روح لايراد العالم ولا يعرفه ، وأما نبى العرب فهو إنسان رآه العالم وعرفه . ونتساءل : أيهما أولى بالقبول : القول بأن هذه النبوات لشخص رآه العالم وخبر صدقه ، وشاهد معجزاته ، الحسية والعقلية الباقية ، أم القول : إنها تصدق على شىء يسمى روح ، لم يره ولم يعرفه أحد ، ولم يعثر له على أثر من تعاليم شفوية أو مكتوبة ؟ .

وقد زعم بولس ١ كو ١٤ : ٢٢ أن « الألسنة آية لا للمؤمنين ، بل لغير المؤمنين » مع أن غير المؤمنين لم يروا هـذه الآية ، بل غابت عن المؤمنين وعن الكافرين على السواء ، وإنه لمنطق مقلوب ، أن تقام الحجة على من لم يشاهد المعجزة ، ولا تكون معجزة لمن شاهدها إن كان هناك أحد قد شاهدها .

على أن العالم لم ير محمداً رؤية صحيحة ، فالغرب لازال مضلل بأفكار المستشرقين ، والمؤمنون به ﷺ قليلون محاطون بالجهلة به من الجهات الأصلية والفرعية .

٢ – قوله : إن المعزى يمكث بشخصه مع المؤمنين إلى الأبد ، وهذه قضية يكذبها الواقع ، ولا يمكن إثباتها لاعلميا ولا عقلياً ، بل يكذبها الدليل السابق ، إذ كيف يؤمنون بأنه يمكث معهم دون أن يراه أحد منهم ؟ .

وأما قوله إن نبى العرب قد مات ، فتلك قضية لايختلف عليها أحد لأن أصحاب محمد ﷺ ، حضروا موته ودفنه ، وبايعوا أبا بكر من

بعده بالخلافة ، وأما النصارى فلا يعرفون مصير ربهم الذى يعبدونه ، لم يحضر أحد منهم صلبه ، ولا دفنه ، وقبره غير معروف لا للخاصة ولا للعامة ، مع الفرق بين عبارتنا وعبارة سعادته [قبر محمد معروف أمره] فى عدم مطابقة الواقع والبذاءة .

ثم يذكر مغالطة يكتشف كل قارىء ما وراءها من خبث ، فكأن المسلمين يحجون إلى قبر محمد ﷺ ، وليس إلى بيت الله الحرام ، ولو سأل مسلما بسيطا لأخبره أن زيارة قبر الرسول ﷺ ليست من أركان الحج فى الإسلام .

٣ — قوله : إن المعزى أرسل إلى تلاميذ المسيح وهم يهود جنسا ، فهذه القضية يكذبها واقع النصارى فى القرون الثلاثة الأولى ، فما كان أحد يسمع عن هذا الإرسال ، ويؤكد هذا كتابات آباء الكنيسة قبل انعقاد المجمع الذى أعلن ألوهية الروح القدس وأضاف إلى قانون الإيمان [وبالروح القدس ، الرب المحيى المنبثق] .. من الأب على مذهب الأرثوذكس ومن الأب والابن على مذهب الكاثوليك ، فإنه لم تكن هذه القضية مطروحة للبحث ، وعلى فرض إرسال الروح القدس إلى التلاميذ وهم يهود جنسا ، فإنهم يكونون أنبياء كأولئك الذين أوحى الله إليهم من قبل ، ويعارض هذا أن اليهود لم يؤمنوا ولم يسمعوا .

وأما حديثه عن محمد ﷺ بأنه جاء إلى العرب . فهذا يكذبه واقع دعوته ﷺ فقد بعث برسائل إلى حكام عصره يدعوهم إلى الدخول فى الإسلام ، ولم يعترض أحد منهم بخصوصية رسالته ﷺ .

٤ — وآخر أدلته على أن الأوصاف المنسوبة إلى المعزى تتناقض والأوصاف المعروفة عن محمد ﷺ هو زعمه أن الغاية القصوى من رسالة

الروح القدس هى تبكيت العالم على خطية عدم الإيمان بالمسيح والشهادة للاهوت المسيح ، فهل يستطيع قداسته أن يأتى بنص واحد يذكر تصريحاً أو تلميحاً أن الروح القدس بكت العالم ؟

إن التلاميذ الذين نزل عليهم ما كانوا محتاجين إلى الشهادة ، لأنهم كانوا يعرفون المسيح حق المعرفه قبل نزوله وبعده ، فما فائدة الشهادة بين أيديهم ؟

والغريب أنه لما لم يتمكن من استخراج الدليل على شهادة الروح من الأناجيل ولو على سبيل اللزوم انتقل إلى الرسائل ، فاستشهد بالرسالة إلى كورنثوس [١٢ : ٣] والنص الذى يعتقد أنه يشهد بلاهوت المسيح أنقله إليك أخى القارئ ، وماعليك إلا أن تتدبره [لذا أعرفكم أن ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول : [يسوع أناثيما] وليس أحد يقدر أن يقول : [يسوع رب] إلا بالروح القدس .

وفى ترجمة أوضح [أقول لكم أن تعرفوا أنه لا أحد وهو يتكلم بروح الله يقول : اللعنة على يسوع ، وكذلك لا يستطيع أحد أن يقول : يسوع رب إلا بالروح القدس] .

سبحان الله .. المعنى الظاهر هو : أنه لا يستطع أحد أن يلعن يسوع أو يمدحه إلا بالروح القدس ، وهذه العقول الكبيرة تفهم منه أنه شهادة للاهوت يسوع ! تأمل كلمة [لا يستطيع أحد أن يقول .. إلا بالروح .. مع أن كل الناس يستطيعون أن يقولوا مايشاءون بغير الروح القدس ، ولم يتفطن الكاتب ولا المترجمون إلى القول ، كما قال القرآن « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله » .

فشهادة الروح القدس للمسيح لم يسمعها أحد ، والاستدلال بهذا بهذا النص يظهر العجز التام عن إثبات شهادة الروح القدس ، وأما محمد ﷺ فالعالم كله يعلم رأيه فى المسيح ، فإنه شهد لأجله وصدقه وبرأه عن عن ادعاء الألوهية ، ولايزال كتابه ناطقاً بذلك ، وكما يقول سعادة القس: إبراهيم سعيد [فقد وقف رسالته على محاولة هدم لاهوت المسيح] .

فهل أوقف الروح القدس رسالته على بناء ماحاول محمد عليه السلام هدمه ! ! .

ومحمد ﷺ بعدم الاعتراف بالثالوث ليس ضد المسيح ، فكلمات المسيح المعروضة فى الأناجيل لا تتعارض بتاتاً مع ماجاء به ﷺ ، وإنما تتعارض مع ماجاء به بولس ، فبولس هو الذى ضد المسيح ، والقرآن الكريم مدح المسيح بما لم يوجد مثله فى كتابات آباء الكنيسة والأناجيل .

وكيف يكون محمد ﷺ ضد المسيح ، وهو لايؤمن بأكثر مما جاء به المسيح ؟ وكتبة الأناجيل الأربعة لم يقولوا إن المسيح أحد أقانيم الثالوث ، فهل يصبحون بتجاهلهم لما يؤمن به المبشرون ضد المسيح ؟

لقد نقلوا أن المسيح عليه السلام كان يصلى لخالقه ويدعوه ويتوسل إليه ؟ . فهل بهذا كفروا بالمسيح ؟ أم كفر المسيح بألوهية نفسه ؟ .

هذه الحقيقة غابت عن الحواريين والرسل ، وجاء محمد ﷺ بعد كتابة أسفار العهد الجديد بستمائة سنة بالتمام ، ليفصل بين الأصيل والدخيل فى هذه الأسفار ، ولكنه لم يشأ أن يرد صراحة على فكرة

حلول الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين ، لأنها لاوجود لها فى إنجيل من الأناجيل المعترف بها ولا غير المعترف بها ، رغم أن هذه الأناجيل جميعها قد دونت بعد هذه الحادثة ، لكن هذه الحقيقة غابت عن الأناجيل والرسائل ، ولم تغب عن لوقا ، وإذا كان بولس قد اخترع الفكرة التى تؤدى إلى ألوهية المسيح ، فإن لوقا قد اخترع الفكرة المشابهة التى تؤدى إلى القول بألوهية الروح القدس ، ونسبة لوقا إلى بولس كنسبة أحد الحواريين للمسيح ، وسفر الأعمال بالنسبة لبولس كالأناجيل بالنسبة للمسيح عليه السلام .

والآن ننتقل إلى الحجة الثانية : وهى دعواه بأن معنى الكلمة الأصلية المترجمة [المعزى] ينقض هذا الرأى من أساسه ، ذلك أن معناها الأساسى الوكيل ، أتدرون لماذا جعل هذا هو معناها الأساسى ، هل ذلك لتبحره فى اللغة اليونانية ؟ لا ولكن ليتمكن من نفى مدلولها عن محمد ﷺ من القرآن الذى يقول : « وماأرسلناك عليهم وكيلا » وليستمر فى التلاعب فيعلن من القرآن أيضاً أن الله وحده هو الوكيل مع أنه لو تأمل قوله [وكفى بالله وكيلا] لعلم أنه لاينفى أن يكون غير الله وكيلا على أى صورة من صور الوكالة ، وكذلك قوله : « وكفى باشهيداً » لاينفى أن يشهد غيره على أى صورة من صور الشهادة .

وبعد أن نفى الوكالة عن محمد راح يثبتها للروح القدس والمسيح ليستدل بذلك على لاهوت المسيح والروح من الإنجيل والقرآن . وهذا هو شأن أدلة النصارى دائما ، بهذه الطرق الطويلة المحيرة التى تعتبر بحق امتداداً لعصر السفسطائيين الذين كانوا يحملون الرأى ونقيضه

ويدافعون عن الرأى ونقيضه ، وتثبت براعة السفسطائى عندما يتمكن من إثبات الرأى ونقيضه معاً .

وتأمل قوله : وبما أن كلمة [وكيل] قد أطلقت فى الإنجيل على الروح والمسيح ، فهذه شهادة ضمنية من القرآن للاهوت المسيح . .

هذه هى قمة الاستدلال المنطقى الذى درسناه ، بما أن كذا . . إذاً كذا . . لكن بعد البحث وجدنا المقدم غير موجود ، فإذا ماتنتج عنه أيضاً غير موجود ، والنص الذى يعنيه من رسالة يوحنا الإصحاح الثانى : [وإن أخطأ أحد فلنا شفيع واحد عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا ، فقط بل لخطايا العالم كله أيضاً] .

فالمسيح فى هذا النص شفيع وليس وكيل ، والنص لايدل على أن المسيح ولا الروح القدس وكيل ، فلم يحرف النص الأصلى ، بل حرف النص الأصلى ومعناه ، ليستدل من القرآن والأناجيل والرسائل على أن المسيح إله .

والحق أن الذى ينبغى أن يحكم بيننا فى هذه القضية إنما هو علماء اللغة اليونانية ، وإن اختلف علماء اللغة فى معنى [كلمة] فالأفضل أن يؤخذ بالقرائن المحيطة بها ، ويمكننا أن نستدل على المقصود بالسياق أو بالصفات الواردة وليس من ذات الإسم إن كان ثمة احتمال أن تكون هذه الكلمة اسم [علم] .

وبالفعل اختلف المترجمون فى معنى كلمة الفارقليط فى اللغة اليونانية ، وترجمها رجال اللاهوت فى النسخ العربية بالمعزى ، وبعض المهتدين منهم ترجمها بـ [أحمد أو محمد] وذهب القس إلى أن معناها الأساسى الوكيل ، وهذا الأمر على جانب من الخطورة يحتم عليه أن يهمس فى أذان إخوانه

بذلك ، ثم يعملوا على تغيير الترجمة الموجودة الآن لتوضع كلمة « الوكيل » مكان كلمة « المعزى » ، وإذا أقره إخوانه على ذلك ، وتراضوا فيما بينهم فنحن على أتم استعداد لنتنازل عن طيب خاطر لإخواننا النصارى عن هذه البشارة ، لكنها فى النهاية لن تنفعهم لأنها كتبت بعد موت المعاصرين للمسيح عليه السلام ، أى جاءت بعد فوات الأوان ، وكاتب الرسالة كان يخاطب جيلا آخر فيقول « يا أبنائى » وليس ياأصحابى . .

وعلى هذا فالصواب عندنا هو أن المعزى أو الوكيل ، أو « الفارقليط شخص آخر غير الروح القدس وغاية ما يمكن للمبشرين من المكابرة فى هذه البشارة الزعم بأنه ليس المقصود منها محمد ﷺ ، ولن تنفع المكابرة لأنهم لن يستطيعوا بكل أسف إثباتها لغير محمد ﷺ ، وقضية نزول الروح القدس لم تثبت نقلا ولا عقلا ، وكاتب سفر الأعمال لم يعاصر أحداثها ، ولم يتابعه على روايته أحد من كتبة الأناجيل الأربعة ولاغيرهم من الحواريين .

بقى الآن أن نتأمل النصوص الواردة فى الإصحاحات ١٤ ، ١٥ ، ١٦ وهى محل النزاع ، ليظهر لنا مدى تطابقها على الروح القدس أو محمد عليه السلام ، ثم بعد ذلك نبحث كيف وقع النصارى فى هذا الخلط .

أولا : ماورد فى الإصحاح الرابع عشر : ومن خلاله يظهر لنا ما يلى : —

١ — قول المسيح عليه السلام « إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى » ثم أخبر عن المعزى فمقصده عليه السلام أن يعتقد السامعون بأن ما سيلقى عليهم بعد ضرورى واجب الرعاية ، فلو كان المعزى عبارة عن الروح النازل يوم الدار لما كان هذا الأمر مستبعداً حتى يؤكد المسيح على ذلك ،

ولكن حقيقة الأمر أنه عليه السلام علم ما سيكونون عليه عندما يأتيهم المعزى فأكد أولا بهذه الفقرة ثم أخبر عن مجيئه .

٢ — قوله عليه السلام « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد » والروح القدس متحد بالآب مطلقاً ، وبالابن نظراً إلى لاهوته اتحاداً حقيقياً فلا يصدق فى حقه « فارقليط آخر » بخلاف النبى المبشر به ، فإنه يصدق هذا القول فى حقه بلا تكلف ، والمكوث إلى الأبد يحمل على المجاز ، لأنه لايدعى أحد أن الروح القدس أو محمد يمكث مع أتباعه بذاته إلى الأبد ، ولكن المراد التعاليم والشريعة فشريعة محمد ﷺ ، باقية إلى الأبد ، وليس كذلك شريعة المسيح عليه السلام .

٣ — وهذا المعزى يتحدث بروح الحق الذى لايستطيع العالم أن يقبله ، لأن العالم يبتعد عن الهداية ، ولا يرى الحق ولا يعرفه ، وأما أنتم أيها الحواريين فتعرفون الحق ، لأنه ماكث معكم فى الانجيل ، وهو فيكم حى ، يدفعكم إلى دعوة الناس إلى الخير .

٤ — وقوله « ٢٦ وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم . . » يتضمن أن الروح القدس يرسله الآب ، وهم يدعون أنه يرسله المسيح ، وإذا كانوا يتخبطون مع أنفسهم أقصد مع أناجيلهم بهذه الصورة فالحمد لله أن هذا الروح نسى أونسوا هم أن يذكروه ليحذرهم من الإيمان بمحمد ﷺ

٥ — أن المسيح قال : « فهو يعلمكم كل شىء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم » ولم يثبت فى رسالة من رسائل العهد الجديد أن الحواريين كانوا قد نسوا ما قاله المسيح . وإنما ثبت من التاريخ أن نبى الإسلام ذكرهم بكل

ما نسوه من حياة المسيح وتعاليمه ومن يقرأ سور : « آل عمران والمائدة ومريم » يدرك هذه التعاليم ، وذلك التذكير ، فى الوقت الذى لاتوجد فيه رسالة ولا سفر واحد فى الكتاب المقدس كله يوضح فيه الروح القدس موقفه من المسيح !

٦ — أن المسيح عليه السلام قال : « وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون » وهذا يدل على أن المراد ليس الروح ، لأنهم لم يكونوا قد كفروا بعد ، فلو حملنا هذا على محمد ﷺ ، لأصبح الكلام فى محله .

ثانياً : ما ورد فى الإصحاح الخامس عشر : ومن خلاله يظهر لنا ما يلى :

١ — يتمسك النصارى بقوله « سأرسله أنا إليكم » فإذا قال مسلم : إن هذا النص بشارة بمحمد ، قالوا له : إن هذا اعتراف ضمنى منك بأن محمداً هو رسول المسيح وليس رسول الله ، ولا تكاد تقرأ كتاباً من كتبهم إلا وفيه هذه المغلومة ، ولكنى أتمنى أن أقرأ مرة التوفيق بين هذا النص ، وبين ما جاء فى الإصحاح الرابع عشر الذى يجعل المعزى مرسلا من قبل الآب وليس المسيح ، ولماذا يتمسك المبشرون بنص ويتركون آخر ؟

٢ — أن عيسى عليه السلام قال : (وأنتم تشهدون لأنكم معى من الابتداء) وهذا يشير إلى أن الذين لم يعاصروه ولم يكونوا معه من الابتداء لن يشهدوا بشهادة محمد ﷺ ، وقد كان . فقد تغيرت الديانة ، وأصبح المسيح نفسه إلها وعبده الذين لم يكونوا معه منذ الابتداء وهذه شهادة لم يشهد بها الحواريون ، ولا شاعت بينهم .

ثالثاً : ما ورد فى الإصحاح السادس عشر : ومن خلاله يظهر لنا ما يلى :

١ — إن عيسى عليه السلام قال : « يوبخ العالم » فهذا القول بمنزلة النص الجلى لمحمد ﷺ ، لأنه وبخ العالم — لا سيما اليهود على عدم إيمانهم بعيسى ، ووبخ النصارى على المغالاة فيه ، وقال لأصحابه « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم » .

٢ — قوله عليه السلام « أما على الخطية فلأنهم لم يؤمنوا بى » والروح النازل يوم الدار ما وبخهم على عدم الإيمان به ، وقد عدل بضمير الخطاب إلى الغيبة فقال : لأنهم لم يؤمنوا بى ، ولم يقل للحواريين ، فلأنكم لم تؤمنوا بى .

٣ — إن المسيح عليه السلام قال : « وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى ولا ترونى أيضاً » ، وهم سيقولون بالصلب ، ويدعون رؤيته بعد الصلب وهذه أمور أنكرها عليهم القرآن الكريم ، ولا يزالون يتمسكون بها .

٤ — إن المسيح عليه السلام قال : « وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين » ، ويبكتهم أيضاً على دينونة يعتقدون بها وهى غير صحيحة ، وهى قصة الخطيئة الأصلية ، التى اخترعتها عقولهم والتى تتنافى مع عدل الله ومع رحمته أيضاً .

ويدعون أن المراد بقوله (فلأن رئيس هذا العالم قد دين) الشيطان ولا أحد يدرى متى أصبح الشيطان رئيساً للعالم ، وهم يقولون المعنى إن إبليس هو الذى دين فى قصة بداية الخليقة وليس آدم الذى تاب الله عليه وغفر له ذنبه[1] .

---

(١) انظر إظهار الحق جـ٤ ص ١١٩١ وما بعدها ، والغريب أن =

٥ — إن المسيح عليه السلام قال : [إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن] فالحواريون الحقيقيون كانوا بلا شك سيصدمون لو صارحهم المسيح بما سيكون عليه أتباعه عندما يجعلونه إلهاً يعبد مع الله .

٦ — أن المسيح عليه السلام قال : [وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية] وهذا لا ينطبق على الروح القدس لأنه ماثبت أنه أرشدهم إلى شىء ، ويعتقدون أنه يتكلم من نفسه لأنه إله ، ولم يخبرهم بأمور ستحدث ، وكل هذا فعله محمد ﷺ فكل ماسمعه من جبريل تكلم به ، كما قال تعالى : [وما ينطق عن الهوى] .

٧ — أن المسيح عليه السلام قال (ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم) ، ولهذا فإن النبى الذى سيأتى سيخبركم بما هو لى ، ولن يلبسنى رداء غيرى ، ولا توجد رسالة أو إنجيل ينسب إلى إملاء الروح القدس، مما يدل على أن الروح القدس لم يخبرهم بشىء .

إن الغريب فى الأمر أن الآلهة الثلاثة يرسل كل منهم الآخر ، فالأب يرسل الابن والابن يرسل الروح القدس ، [والروح القدس هو الذى يخلق الإيمان فى الإنسان ولهذا السبب يسميه بولس [روح الإيمان] إذ يقول [فإذ لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب : آمنت لكمت][1]

= العهد القديم لا يذكر شيئاً عن الشيطان ، والعهد الجديد يمنحه لقب رئيس العالم ، فالعهدين على طرفى النقيض فى الغلو والتقصير .

(١) ٢ كورنثوس ٤ : ١٣ .

فالروح فى هذا العدد كما يعتقد معظم المفسرين هو [الروح القدس][1].

هذا هو عمل الإله الثالث ، فكيف آمن النصارى به قبل أن يرسله إليهم المسيح ؟ .

هذه هى أهم الأمور التى تؤكد أن الآية بشارة بنى الإسلام ، ولنا أن نتساءل الآن : كيف وقع النصارى فى هذا الخطأ ؟ .

فكرت فى هذا الأمر . . كيف جاءت فكرة الإله الروح القدس إلى الفكر المسيحى ؟ . وكيف صارت من العقائد الأساسية التى تجمع عليه الكنائس ؟ . مع أنها لم تكن موجودة فى حياة المسيح ولا فى حياة الحواريين والتلاميذ ، ولا فى كتاباب آباء الكنيسة حتى القرن الرابع الميلادى .

لقد تبين لى بعد البحث والدراسة ، أن السند الكتابى لهذه العقيدة إنما يرجع إلى خطأ فى ترجمة كلمة وقع فيه أحد كتبة الأناجيل ، ونشير هنا إلى كلمة [الخيرات] أو [البركات] فقد جاء لوقا يتتبع ماكتبه السابقون الذين كانوا معاصرين لأحداث المسيح ، فكان كلما مر على هذه الكلمة ترجمها فى إنجيله بـ [الروح القدس] فمثلا فى إنجيل متى ٧ : ١١ [فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه] .

استبدل لوقا كلمة [الروح القدس] بكلمة [خيرات] فمثلا نقل فى إنجيله ١١ : ١٣ هذا النص هكذا : [فكم بالحرى الأب الذى من السماء

---

(١) الفكر اللاهوتى فى كتابات بولس الدكتور القس / فهيم عزيز ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ط / دار الثقافة .

يعطى الروح القدس للذين يسألونه] ويعطى ويهب بمعنى واحد ، لكن لا يمكن أن تكون كلمة [الروح القدس] ترجمة أمينة لكلمة [الخيرات] .

وبهذا لم يطابق لوقا الأصل الذى أخذ عنه ، وقد كتب إنجيله لاعن مشاهدته ، وإنما عن الذين كانوا شهوداً ومعاينين للأحداث ، وتحدثوا عن الخيرات والبركات التى كانت تنهمر على الحواريين والتلاميذ بغزارة ، وقد تطورات هذه الفكرة الخاصة به ، حتى إذا انتهى من إنجيله كانت قد اختمرت فى عقله ، فكتب سفر الأعمال استهله إلى صديقه المعهود ثاؤفيلس ، وفى بداية الإصحاح الثانى منه سجل حادثة لم يشاهدها ولم يشهد بها أحد غيره .

يقول لوقا : [ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة ، وصار بغتة من السماء صوت كما كان من هبوب ريح عاصفة ، وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدءوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا] .

هذا النص لا نظير له فى الكتاب المقدس ، ويستدل به النصارى على حلول الروح القدس على التلاميذ ، ويتوهم المبشرون أنها حقيقة غفل عنها المسلمون ، لكن ما على المسلمون إن غفلوا عن سطرين فى كتاب يكاد يصل إلى ألفى صفحة ، فقد غفل عنهما أيضاً كتبة الأناجيل والرسائل وسفر الرؤيا وجميعها كتبت بعد يوم الخمسين .

والمتأمل لهذين السطرين لايدرك منهما المعنى الذى يؤمن به

النصارى ، فليس فيهما أن الروح القدس إلهاً وليس فيهما أنه ينبثق من الأب أو الابن أو منهما معاً .

وقد كتب يوحنا إنجيله بعد نزول الروح القدس بستين سنة تقريباً ، ولم يشر إلى هذين السطرين وهو يتحدث عن النبي الذى بشرهم به المسيح عليه السلام ، وكانت تلك مناسبة لايجوز إغفالها لربط الأحداث بعضها ببعض .

وقد ترجم إنجيل يوحنا إلى اليونانية ، وفقد الأصل الذى كتبه يوحنا فظهرت فى اليونانية كلمة [الفارقليط] للتعبير عن رسول بعد المسيح ، واستمر النصارى على بقاء الكلمة كما هى فى الأصل اليونانى ، حتى بعث محمد ﷺ ، وبعد أن جحدوا رسالته حاولوا تغيير المعنى الصريح .

وقد تحداهم النبى ﷺ بأنه موجود لديهم(١) . لكنهم أصروا على أن يصرفوا الاسم عن معناه الحقيقى إلى معان أخرى ، فترجموها بالمعزى ، ولكن بقيت الأوصاف المحيطة بالكلمة شاهدة على التحريف ، ولهذا بدأت الترجمات الحديثة للكلمة تتخبط ، ولا زال المترجمون — وكل منهم يعلم أنى صادق فيما أقول — يعملون من أجل التغلب على صعوبتين :

---

(١) قال تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » الأعراف آية ١٥٧ .

الأولى : صرف المعنى عن محمد ﷺ ، والقس إبراهيم سعيد حاول أن يساهم بدوره فى هذا الصرف ، ولكن ليس كمترجم يفكر فى المترادفات ، وإنما كمقدم لطرح هداه إليه عقله فى قراءته للقرآن الكريم وبالأخص لقوله تعالى : « وما أرسلناك عليهم وكيلا » ، وقوله « وكفى بالله وكيلا » فقال لو ترجمنا كلمة (الفارقليط) بكلمة الوكيل لانتفى مدلولها عن محمد ﷺ ، فالإنجيل يقول : إن المسيح سيرسل الوكيل وهذا الوكيل ما هو إلا الروح القدس ، ومن أجل هذا زعم أن الكلمة التى ترجمت بالمعزى هى فى الأصل بمعنى الوكيل ، ولا أدرى أى أصل يقصد ؟ هل الأصل الذى فقد ، أم الأصل اليونانى . ؟ إنك مهما بذلت من جهود فلن تعرف أصل سفر واحد من أسفار العهد الجديد .

الثانية : تطبيق كلمة (الفارقليط) بما حولها من صفات على الإله الروح القدس ، وإذا ماتمكن النصارى من نفى مدلول الكلمة عن محمد أولوا الصفات المحيطة بها بتأويلات مجازية بما ينطبق على الله الروح القدس ، ولكن الصعوبات لاتزال كثيرة ، والعقبات لاتنتهى .

فكلمة (الفارقليط) تترجم فى بعض المواضع بالمعزى ، كما فى إنجيل يوحنا ، وفى مواضع أخرى تترجم بالشفيع كما فى الاصحاح الثانى من رسالة يوحنا ويستمر البحث عن معنى هذه الكلمة دون أن يتفق أهل الإنجيل على معنى واحد ، فلماذا لا تبقى هذه الكلمة كما هى ؟ لماذا نتدخل فى وحى الله ونصرفه عن مراده . ؟ لماذا نصر على تحريف كلام الله ، ونبذل كل طاقتنا فى سبيل كتمان الحق ؟ أيها القارىء الكريم : إن رجال الدين يضعون حجباً كثيفة أمام العوام ليحجبوا عنهم الرؤية الصحيحة ، فلا تثق إلا بعقلك أنت ، لا تكن من المقلدين الذين إن قال لهم رجال الدين : إن الله ثلاثة رددوا ، وإذا قالوا : إن الله صلب رددوا ، لا تكن من

المرددين ، بل كن من المتأمـــلين المستبصرين بآيات الله فى التوراة والإنجيل والقرآن .

إن الحق واضح الآن أمام علماء المسلمين ، الذين لا يعنيهم أن يعولوا على مثل هذه التنبؤات ولو كان ظاهرها فى صالحهم ، لأنهم يعتقدون أن كتبة الأناجيل حرفوا فيها وبدلوا ، وهذا الاعتقاد يؤيدهم فيه كثيرون من علماء النصارى ، وشجرة النسب خير شاهد على مانقول .

أهم المراجع

— القرآن الكريم .

— الكتاب المقدس .

أ . الترجمة العربية للبروتستانت

ب . الترجمة الحديثة التى اشترك فيها علماء من الكنائس البروتستانتية والكاثوليكية والأرثوذكسية .

ج . الترجمة الحديثة الموضوع بهامشها التفسير التطبيقى .

— إظهار الحق الشيخ رحمة الله الهندى ط / ثانية دار الحرمين .

— تاريخ الفكر المسيحى د / حنا جرجس الخضرى ط / دار الثقافة .

— تفسير العهد الجديد : وليم باركلى ط / دار الثقافة .

— الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل / وليم إدى بمجمع الكنائس فى الشرق .

— الفكر اللاهوتى فى كتابات بولس / الدكتور القس فهيم عزيز ط / دار الثقافة .

— قاموس المنجد لويس معلوف المطبعة الكاثوليكية بيروت .

— مقارنة الأديان / إبراهيم خليل أحمد ط / دار المنار .

— هداية الحيارى فى أجوبة النصارى ابن قيم الجوزية ط / دار الريان للتراث .